فإذا أشعرها ما وصفت . . انقادت إلى الكفِّ ، وأذعنت بالاتّقاء ، فسلم دينُه ، وظهرت مروءتُه ، فهٰذا شرط .

وأمّا كفُّ اللسان عن الأعراض : فلأنه مَلاذُّ السفهاء ، وانتقامُ الغَوغاء ، وهو مستسهَل الكُلَف ، إن لم يقهر نفسَه عنه برادعٍ كافٍّ ، وزاجرٍ صادٍّ . . تلبَّط بمَعارِّه ، وتخبَّط بمَضارِّه ، وظنَّ أنَّه لتجافي الناس عنه حِمىً يُتَّقىٰ ، ورتبةٌ تُرتقىٰ ، فهلك وأهلك ؛ ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « ألا إنَّ دِماءَكُم وأموالَكُم وأعراضَكُم حَرامٌ عليكُمْ »[1] فجمع بين الدَّم والعِرض ؛ لما فيه من إيغار الصدور ، وإبداء الشُّرور ، وإظهار البَذاء ، واكتساب الأعداء ، ولا يبقىٰ مع هٰذه الأمور وزنٌ لمرموق ، ولا مروءةٌ لملحوظ ، ثم هو بها موتورٌ وموزور ، ولأجلها مهجورٌ ومزجور .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « شَرُّ الناسِ : مَن أكرَمَهُ النّاسُ ؛ اتِّقاءَ لسانِهِ »[2] .

وقال بعض الحكماء : (إنَّما يهلك الناسُ بفُضول الكلام ، وفُضول المال)[3] .

وما قدح في الأعراض من الكلام . . فنوعان :

أحدهما : ما قدح في عِرض صاحبه ، ولم يتجاوزه إلىٰ غيره ؛ وذلك شيئان : الكذبُ ، وفُحشُ القول .

والثاني : ما تجاوزه إلىٰ غيره ؛ وذلك أربعة أشياء : الغِيبةُ ، والنَّميمةُ ، والسِّعايةُ ، والسَّبُّ بقذفٍ أو شتمٍ .

---

(١) رواه البخاري (٦٧) ، ومسلم (١٦٧٩) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه .
(٢) رواه البخاري (٦٠٣٢) ، ومسلم (٢٥٩١) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٠٣) ، و« البيان والتبيين » (١/ ١٩٢) من قول إبراهيم النَّخَعيّ رحمه الله تعالىٰ .

وربَّما كان السبُّ أنكاها للقلوب ، وأبلغَها أثراً في النفوس ؛ ولذلك زجر الله تعالىٰ عنه بالحدِّ تغليظاً ، وبالتفسيق تشديداً وتصعيباً[1] .

وقد يكون ذلك لأحد شيئين : إمّا انتقامٌ يصدر عن سفَه ، أو بَذاءٌ يحدث عن لؤم .

وقد روىٰ أبو سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمنُ غِرٌّ كريمٌ ، والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ »[2] .

وقال ابن المقفَّع : (الاستطالةُ لسانُ الجهالة)[3] .

وكفُّ النفس عن هٰذه الحال بما يصدُّها من الزواجر أسلمُ ، وهو بذوي المروءة أجملُ ، فهٰذا شرطٌ[4] .

وأما العفة عن المآثم . . فنوعان : أحدهما : الكفُّ عن المجاهرة بالظلم ، والثاني : زجرُ النفس عن الاستسرار بخيانة .

فأمّا المجاهرةُ بظلم : فعُتوٌّ مهلِكٌ ، وطُغيانٌ متلِفٌ ، وهو يؤول إن استمرَّ إلىٰ فتنةٍ أو جَلاءٍ .

ـ أمّا الفتنةُ في الأغلب . . فتحيط بصاحبها ، وتنعكس على البادىء بها ، فلا تنكشف إلا وهو بها مصروعٌ ؛ كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

---

(١) ولذلك شرع حد القذف وعقوبته .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٤١٨) ، وأبو داوود (٤٧٩٠) ، والترمذي (١٩٦٤) ، غِرٌّ : يغره كل أحد ، ولا يعرف الشر وليس بذي مكر ؛ فهو ينخدع لسلامة صدره وحسن ظنه ، وخب ـ بفتح الخاء وقد تكسر ـ : هو الذي يسعىٰ بين الناس بالفساد .

(٣) أورده في « الصناعتين » (ص ٢٧٨) ، و« البديع » (ص ١٥) دون نسبة ، والاستطالة : المغالبة في القول الفاحش .

(٤) فهٰذا الكف شرط من شروط المروءة في نفسه .

ورُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « الفِتنةُ نائمةٌ ؛ فمَن أيقظَها . . صار طعاماً لها »[1] .

وقال جعفر بن محمد عليهما السلام : (الفتنةُ حصادُ الظالمين)[2] .

وقال بعض الحكماء : (صاحبُ الفتنة أقربُ شيءٍ أجلاً ، وأسوأُ شيءٍ عملاً)[3] .

وقال بعض الشعراء[4] : [من الطويل]

وكنتَ كعَنزِ السُّوْءِ قامَتْ لحَتْفِها إلىٰ مُدْيةٍ تحتَ الثَّرىٰ تَستثيرُها

ـ وأمّا الجَلاء : فقد يكون مع قوّة الظالم ، وتطاول مدّته ، فيصير ظلمُه مع المَكِنة جَلاءً وفَناءً ؛ كالنار إذا وقعت في يابس الشجر ، فلا تُبقي منه بتمكُّنها شيئاً ، حتىٰ إذا أفنَتْ ما وجدت . . خمدَت ؛ كذلك حالُ الظالم : مُهلِكٌ ثم هالكٌ .

والباعثُ علىٰ ذلك شيئان : الجرأةُ ، والقسوةُ ؛ ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « اطلُبُوا الفَضْلَ والمَعرُوفَ عندَ الرُّحَماءِ مِن أمّتي . . تَعيشُوا في أكنافِهِمْ »[5] .

والصادُّ عن ذلك : أن يرىٰ آثارَ الله تعالىٰ في الظالمين ؛ فإنَّ له فيهم عِبَراً ، ويتصوَّرَ عواقبَ ظلمهم ؛ فإنَّ فيه مُزدجَراً .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « مَن أصبَحَ ولم يَنْوِ ظُلْمَ أحدٍ . . غُفِرَ له ما اجترَمَ »[6] .

---

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (٣/ ٣٤٣) .
(٢) أورده في « البصائر والذخائر » (١/ ٢٣) .
(٣) رواه الطبري في « تاريخه » (٥/ ٥٧٨) من قول هانىء بن أبي حيّة الوادعيّ .
(٤) البيت للفرزدق في « ديوانه » (١/ ٢٢٠) .
(٥) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٥٦٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٧١٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه .
(٦) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٢٧٣) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/ ٩٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

ورویٰ جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدِّه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يا عليُّ ؛ اتَّقِ دَعْوةَ المظلومِ ؛ فإنَّما يسألُ اللهَ تعالىٰ حقَّه ، وإنَّ اللهَ تعالىٰ لا يمنعُ ذا حَقٍّ حَقَّهُ** »[١] .

وقيل في منثور الحكم : (**ويلٌ للظالم من يوم المَظالم**) .

وقال بعض البلغاء : (**مَن جار حكمُه . . أهلكَه ظلمُه**) .

وقال بعض الشعراء[٢] : [من الطويل]

وما مِن يَدٍ إلاّ يَدُ اللهِ فوقَها ... ولا ظالمٍ إلاّ سيُبلىٰ بظالمِ

وأمّا الاستسرارُ بالخيانة . . فنَطَفٌ وضَعَةٌ[٣] ؛ لأنَّه بذلِّ الخيانة مَهِينٌ ، ولقلّة الثقة به مستكينٌ .

وقد قيل في منثور الحكم : (**مَن يخُنْ . . يهُنْ**)[٤] .

وقال خالد الرِّبْعيُّ : (قرأتُ في بعض الكتب السالفة : **أنَّ ممّا تُعجَّل عقوبتُه ولا تؤخَّرُ** : الأمانةَ تُخانُ ، والإحسانَ يُكفَرُ ، والرَّحِمَ تُقطَعُ ، والبغيَ على الناس)[٥] .

ولو لم يكنْ من ذمِّ الخيانة إلا ما يجده الخائنُ في نفسه من المَذلّة . . **لكفاه** زاجراً ، ولو تصوَّر عُقبىٰ أمانته ، وجَدوىٰ ثقته . . **لعلم أنَّ ذلك من أربح بضائع جاهه** ، وأقوىٰ شفعاء تقدُّمه ، مع ما يجده في نفسه من العزِّ ، ويُقابَل عليه من الإعظام .

---

(١) رواه الخرائطي في « مساوىء الأخلاق » (٦٣٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٦١) .

(٢) أورد البيت في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٣) ، و« بهجة المجالس » (١/٣٦٧) .

(٣) **النَّطَفُ** : التلطُّخ بالعيب ، **والضعة** : الدناءة .

(٤) أورده في « نهاية الأرب » (٦/١١٨) .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٠٢) في زيادات نعيم بن حماد ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (١٦٨) .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « أَدِّ الأمانةَ إلىٰ مَنِ ائتمَنَكَ ، ولا تخُنْ مَن خانَكَ »[1] .

ورَوىٰ سعيد بن جبير قال : لمّا نزلت هـٰذه الآية : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ يعنون : أنَّ أموال العرب حلالٌ لهم ؛ لأنَّهم من غير أهل الكتاب . . قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « كذَبَ أعداءُ اللهِ ، ما مِن شيءٍ كانَ في الجاهليّةِ إلا وهو تحتَ قدَميَّ ، إلا الأمانةَ ؛ فإنَّها مُؤدّاةٌ إلى البَرِّ والفاجرِ »[2] .

ولا يجعلْ ما يتظاهرُ به من الأمانة زُوراً ، ولا ما يُبديه من العفّة غُروراً ، فينهتكَ الزُّورُ ، وينكشفَ الغُرورُ ، فيكونَ مع هتكه التدليسَ أقبحَ ، وبمعرّة الرياء أفضحَ .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « لا تزالُ أمّتي بخيرٍ ما لم ترَ الأمانةَ مَغنَماً ، والصَّدقةَ مَغرَماً ، وصلةَ الرَّحِمِ مَنّاً »[3] .

وقال بعض الحكماء : (مَنِ التمسَ أربعاً بأربعٍ . . التمسَ ما لا يكون ؛ مَنِ التمسَ الجزاءَ بالرِّياء . . التمسَ ما لا يكون ، ومَنِ التمسَ مودّةَ الناس بالغِلظة . . التمسَ ما لا يكون ، ومَنِ التمسَ وفاءَ إخوانِه بغير وفائه . . التمسَ ما لا يكون ، ومَنِ التمسَ العلمَ براحة الجسد . . التمسَ ما لا يكون) .

والداعي إلى الخيانة شيئان : المَهانةُ ، وقلّةُ الأمانة ، فإذا حسمهما عن نفسه بما وصفتُ . . ظهرت مروءته ، فهـٰذا شرطٌ قد استوفينا فيه أقسام العفّة[4] .

---

(1) رواه أبو داوود (٣٥٣٥) ، والترمذي (١٢٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وبيَّن سبحانه وتعالىٰ في الآيات شروعَ خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين .

(2) رواه الطبري في « تفسيره » (٣/٣/٤٠٧) .

(3) رواه الترمذي (٢٢١٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(4) فهـٰذا الحسم شرط من شروط المروءة قد استوفينا فيه أقسام العفة ، من ضبط الفرج عن الحرام ، وكف اللسان عن الأعراض ، والكف عن المجاهرة بالظلم ، وزجر النفس عن الإسرار بخيانة .

وأمّا النَّزاهةُ . . فنوعان : أحدهما : النَّزاهة عن المطامع الدَّنيّة ، والثاني : النَّزاهة عن مواقف الرِّيبة .

فأمّا المطامع الدَّنيّة : فلأنَّ الطمع ذلٌّ ، والدَّناءة لؤمٌ ، وهما أدفعُ شيءٍ للمروءة ، وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ من طَمَعٍ يَهدي إلىٰ طبَعٍ »(١) .

وقال بعض الشعراء(٢) : [من البسيط]

لا تضرَعَنَّ لمخلوقٍ علىٰ طَمَعٍ ... فإنَّ ذاكَ مُضِرٌّ منكَ بالدِّينِ
واسترزِقِ اللهَ ممّا في خزائِنِهِ ... فإنَّما هو بينَ الكافِ والنُّونِ

والباعثُ علىٰ ذلك شيئان : الشَّرَهُ ، وقلّةُ الأنفة ، فلا يقتنعُ بما أُوتي وإن كان كثيراً ؛ لأجل شرَهه ، ولا يستنكفُ ممّا مُنِع وإن كان حقيراً ؛ لقلّة أنفته .

وهـٰذه حالُ مَن لا يرىٰ لنفسه قدراً ، ويرى المالَ أعظمَ خطراً ، فيرىٰ بذلَ أهونِ الأمرين لأجلِّهما غُنْماً ، وليس فيمَن كان المالُ عنده أجلَّ ، ونفسُه عليه أقلَّ إصغاءٌ لتأنيب ، ولا قبولٌ لتأديب .

رُوي أنَّ رجلاً قال لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أَوصِني ، قال : « عليكَ باليأسِ ممّا في أيدي النّاسِ ، وإيّاكَ والطَّمَعَ ؛ فإنّه فَقْرٌ حاضرٌ ، وإذا صلَّيتَ صلاةً . . فصَلِّ صلاةَ مُودِّعٍ ، وإيّاكَ وما تعتذِرُ منه »(٣) .

وقال بعض الحكماء : (عزُّ النَّزاهة أشرفُ من سرور الفائدة)(٤) .

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٣٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٩٣) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، ويهدي إلىٰ طبَع ؛ أي : يؤدي إلىٰ شينٍ وعيب .

(٢) البيتان منسوبان لسيدنا علي في « ديوانه » (ص٢٤٨) ، ولعبد الله بن المبارك في « ديوانه » (ص٩١) ، ولمحمود الوراق في « ديوانه » (ص٢٨١) ، وفي غير (أ) : (فإنَّ ذلك نقصٌ منك في الدينِ) .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٢٦) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (١٠١) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٤) رواه في « الجليس الصالح » (١/ ٢٠٥) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٢٣٧) من قول أبي حفص الكرمانيّ رحمه الله تعالىٰ .

وقال بعض الشعراء[1] : [من الطويل]

ومَن كانتِ الدُّنيا مُناهُ وهَمَّهُ سَبَتْهُ المُنىٰ واستعبَدَتْهُ المَطامِعُ

وحسمُ هٰذه المطامع شيئان : اليأسُ ، والقناعةُ .

وقد روىٰ عبد الله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوْعِي : أنَّ نَفْساً لا تموتُ حتّىٰ تستوفيَ رِزْقَها ، فاتَّقُوا اللهَ وأَجمِلُوا في الطَّلَبِ ، ولا يَحمِلَنَّكُمْ إبطاءُ الرِّزقِ علىٰ أنْ تطلُبُوهُ بمعاصي اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ اللهَ لا يُدرَكُ ما عندَه إلاّ بطاعتِهِ »[2] ، فهٰذا شرط[3] .

وأمّا مواقفُ الرِّيبة : فهي التردُّدُ بين منزلتَي حمدٍ وذمّ ، والوقوفُ بين حالَتي سلامةٍ وسُقْم ، فتتوجَّهُ إليه لائمةُ المتوهِّمين ، وتنالُه ذِلّةُ المُريبين ، وكفىٰ بصاحبها موقفاً ؛ إن صحَّ . . افتُضِح ، وإن لم يصحَّ . . أُوهِنَ .

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « دَعْ ما يَرِيبُكَ إلىٰ ما لا يَرِيبُكَ »[4] .

وسئل محمد بن عليّ عليه السلام عن المروءة ، فقال : (ألاّ تعمل في السرِّ عملاً تستحِي منه في العلانية)[5] .

---

(١) البيت لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص٢١٧) ، والمعنىٰ : من كانت الدنيا والمال غاية ما يتمناه . . كان أسير أمانيه وعبد مطامعه .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٧٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٨٩١) ، وروح القدس : هو سيدنا جبريل عليه السلام ؛ سمي بذلك لتقديسه وتطهيره ، وخُص بذلك مع مشاركة الملائكة له ؛ لأنه رئيسهم ، ونفث في رُوعي : أوحىٰ وألقىٰ في خَلَدي وبالي .

(٣) فهٰذا الحسم بالنزاهة عن المطامع الدنية شرطٌ أيضاً للمروءة .

(٤) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٧٢٢) ، والترمذيّ (٢٥١٨) عن سيدنا الحسن بن عليّ رضي الله عنهما .

(٥) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٢/٢٣٢) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (٢٤/٣٣٧) من قول الأحنف بن قيس رحمه الله تعالىٰ ، وأورده في « نثر الدرّ » (٤/١٧٦) من قول محمد بن عمران التَّيميّ رحمه الله تعالىٰ .

وقال حسان بن أبي سِنان : (ما وجدْتُ شيئاً هو أهونُ من الورَع) قيل له : وكيف ؟ قال : (إذا ارتبتُ بشيءٍ . . تركتُه)[1] .

والداعي إلىٰ هـٰذه الحال شيئان : الاسترسالُ ، وحسنُ الظنِّ .

والمانعُ منها شيئان : الحياءُ ، والحذرُ .

وربَّما انتفَت الرِّيبة بحسن الثقة ، وارتفعت التُّهَمةُ بطول الخبرة ؛ كالذي حُكي عن عيسى ابن مريم عليه السلام : أنَّه رآه بعضُ الحواريِّينَ وقد خرج من منزلِ ذاتِ فُجور ، فقال له : يا رُوحَ الله ؛ ما تصنعُ هـٰهنا ؟ فقال : (الطبيبُ إنَّما يُداوي المَرضىٰ)[2] .

لـٰكن لا ينبغي أن يجعل ذلك طريقاً إلى الاسترسال ، وليكنِ الحذرُ عليه أغلبَ ، وإلى الخوف من تصديق التُّهَم أقربَ ، فما كلُّ رِيبةٍ ينفيها حسنُ الظنِّ .

هـٰذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو أبعدُ خلق الله من الرِّيَب ، وأصوَنُهم من التُّهَم ـ وقف مع زوجته صفيّةَ ذاتَ ليلةٍ علىٰ باب مسجده يحادثها وكان مُعتكِفاً ، فمرَّ به رجلان من الأنصار ، فلمّا رأياه . . أسرعا ، فقال لهما : « علىٰ رِسْلِكُما ؛ إنَّها صَفيّةُ بنتُ حُيَيٍّ » فقالا : أوَيخالجنا فيكَ شكٌّ يا رسولَ الله ؟! فقال : « مَهْ ؛ إنَّ الشَّيطانَ يجري مِن أحدِكُمْ مَجرىٰ لَحْمِهِ ودَمِهِ ، فخَشِيتُ أنْ يَقذِفَ في قُلُوبِكُما سُوءاً »[3] .

فكيف بمَن تخالجت فيه الشُّكوكُ ، وتقابلت فيه الظُّنونُ ، هل يعرىٰ في مواقف الرِّيَب من قادح محقِّق ، ولائم مصدِّق ؟ وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/ ٢٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٢١٦) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٢/ ٣٧٠) ، و« البيان والتبيين » (٣/ ١٤٠) .

(٣) رواه البخاري (٢٠٣٨) ، ومسلم (٢١٧٥) ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم نسبهما أنهما يظنان به سوءاً ؛ لما تقرر عنده من صدق إيمانهما ، ولـٰكن خشي عليهما من وسوسة الشيطان ؛ لأنهما غير معصومينِ ، فبادر إلىٰ إعلامهما حسماً للمادة وتعليماً لمن بعده إذا وقع له مثل ذلك .

وسلم أنَّه قال : « إذا لم يُشق المرءُ إلاّ بما عمِلَ . . فقد سُعِدَ »[١] .

وإذا استعمل الحزمَ ، وغلَّب الحذرَ ، وترك مواقفَ الرِّيَب ، ومَظانَّ التُّهَم ، ولم يقف موقفَ اعتذارٍ ، ولا عذرَ لمختارٍ . . لم يختلج في نزاهته شكٌّ ، ولم يقدح في عِرضه إفكٌ .

وقد قال الشاعر[٢] : [من الوافر]

أصُونُكَ أنْ أدُلَّ عليكَ ظَنّاً لأنَّ الظَّنَّ مِفتاحُ اليَقِينِ

وقال سهل بن هارون : (مُؤنةُ التوقُّف أيسرُ من تكلُّف التعسُّف) .

وقال بعض الحكماء : (مَن حسَّنَ ظنَّه بمَن لا يخافُ اللهَ تعالىٰ . . فهو مخدوعٌ)[٣] .

وأنشد بعض أهل الأدب لأبي بكر الصُّوليِّ[٤] : [من مخلع البسيط]

أحسنتُ ظنِّي بأهلِ دَهْرِي فحُسْنُ ظنِّي بِهِمْ دَهانِي
لا آمَنُ الناسَ بعدَ هٰذا ما الخَوفُ إلاّ مِنَ الأمانِ

فهٰذا شرطٌ قد استوفينا فيه نوعَي النزاهة[٥] .

وأمّا الصِّيانةُ وهي الثالث من شروط المروءة . . فنوعان : أحدهما : صيانة النفس بالتماس كفايتها ، وتقدير مادّتها .

والثاني : صيانتها عن تحمُّلِ المِنَن ، والاسترسال في الاستعانة .

فأمّا التماسُ الكفاية ، وتقدير المادّة . . فلأنَّ المحتاجَ إلى الناس كَلٌّ مُهتضَمٌ ،

---

(١) إذا لم يُشقَّ ـ بالبناء للمفعول ـ : إذا لم يوقع في المشقة إلا بعمله .
(٢) أورد البيت في « بهجة المجالس » (١/٤١٩) ، و« عيون الأخبار » (١/٣٥) لسعيد بن حميد الكاتب .
(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ٢٧٢) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ بنحوه .
(٤) أورد البيتين ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/ ١١١) ، ودهاني : أصابني بداهية عظيمة .
(٥) فهٰذا شرط من شروط المروءة في نفسه ، قد استوفينا فيه نوعي النزاهة عن المطامع الدنية ، والنزاهة عن مواقف الريبة .

وذليلٌ مُستثقَلٌ[1] ، وهو لما فُطِر عليه محتاجٌ إلىٰ ما يستمدُّه ؛ ليقيم أَوَدَ نفسه[2] ، ويدفع ضرورةَ وقته ؛ ولذلك قالت العرب في أمثالها : (كلبٌ جوّالٌ خيرٌ من أسدٍ رابض)[3] .

وما يستمدُّه نوعان : لازم ، وندب .

فأمّا اللازمُ : فما قام بالكفاية ، وأفضىٰ إلىٰ سَدّ الخَلّة ، وعليه في طلبه ثلاثة شروط[4] :

ـ أحدها : استطابتُه من الوجوه المباحة ، وتوقِّي الوجوه المحظورة ؛ فإنَّ الموادَّ المحرَّمة مستخبَثةُ الأصول ، ممحوقة الفروع ، إن صرفها في برٍّ . . لم يؤجَر ، وإن صرفها في بذخٍ . . لم يُشكَر ، ثم هو لأوزارها محتقِبٌ ، وعليها معاقَبٌ .

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « لا يُعجِبْكَ رجلٌ اكتسَبَ مالاً من غيرِ حِلِّهِ ؛ فإن أنفَقَهُ . . لم يُقبَلْ منه ، وإن أمسَكَهُ . . فهو زاده إلى النارِ »[5] .

وقال بعض الحكماء : (شرُّ الأموالِ : ما لزمك إثمُ مَكسَبه ، وحُرِمتَ أجرَ إنفاقه)[6] .

ونظر بعض الخوارج إلىٰ رجلٍ من أصحاب السلطان يتصدَّق علىٰ مسكين ، فقال : (انظُرْ إليهم ، حسناتُهم من سيِّئاتهم !!)[7] .

---

(1) كَلٌّ : ثقيلٌ عاجزٌ لا خير منه ، مهتضم : منكسر القلب من الحزن ، مُغتصَب حقه عند الناس .
(2) الأود : الاعوجاج والميل إلىٰ جانب ، والمحتاج مائل إلىٰ ما يحتاجه .
(3) أورده في « جمهرة الأمثال » (٢/ ١٢٣) ، و« المحاسن والأضداد » (ص١٠٩) .
(4) أي : وعلى المستمِد في طلب اللازم ثلاثة شروط .
(5) رواه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٣٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(6) أورده في « البصائر والذخائر » (٧/ ٢٤) ، و« محاضرات الأدباء » (٢/ ٣٢٤) من قول جعفر بن يحيىٰ .
(7) أورده في « نثر الدرّ » (٥/ ٢٢٢) .

وقال علي بن الجَهْم[1] : [من الخفيف]

سَرَّ مَن عاشَ مالُهُ فإذا حا ... سَبَهُ اللهُ سَرَّهُ الإعدامُ

ـ والثاني : طلبه من أحسن جهاته التي لا يلحقه فيها غَضٌّ ، ولا يتدنَّس له بها عِرضٌ ؛ فإنَّ المال يُراد لصيانة الأعراض ، لا لابتذالها ، ولعزِّ النفوس ، لا لإذلالها .

فقد قال عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه : (يا حبّذا المالُ ؛ أصونُ به عِرضي ، وأُرضي به ربِّي)[2] .

وقال أبو بشر الضرير[3] : [من الطويل]

كفىٰ حَزَناً أنِّي أروحُ وأغتدي ... وما ليَ من مالٍ أصونُ به عِرْضي

وأكثرُ ما ألقىٰ صديقي بمرحَباً ... وذلك لا يكفي الصَّديقَ ولا يُرضي

وسئل ابن عائشة عن قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم : « اطْلُبُوا الحَوائجَ مِن حِسانِ الوُجُوهِ » ، فقال : معناه : من أحسنِ الوجوهِ التي تحِلُّ[4] .

ـ والثالث : أن يتأنّىٰ في تقدير مادّته ، وتدبير كفايته بما لا يلحقه خلَلٌ ،

---

(1) أورد البيت في « البصائر والذخائر » (٩/١٠٧) ، و« التمثيل والمحاضرة » (ص٩٢) لأحمد بن أبي فنن ، وورد في « ديوان علي بن الجهم » (ص١٩٧) هـٰكذا : (من المنسرح)

يسُرُّ مَن عاشَ مالُهُ فإذا ... حاسَبَهُ اللهُ سَرَّهُ العَدَمُ

والإعدام : القلة والافتقار .

(2) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٩٧) ، وأورده في « التذكرة الحمدونية » (٨/٩٨) .

(3) روى البيتين ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (١٠٥) ، وأوردهما في « ديوان المعاني » (٢/٢٤٧) .

(4) الحديث رواه الإمام أحمد في « فضائل الصحابة » (١٢٤٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٦٣) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

وفي هامش (د) : (الحديث الذي ذكره الشيخ في « الجامع الصغير » : « اطلبوا الخير عند حِسان الوجوه » ، قال الشارح المناويّ [في « التيسير » (١/١٦٣)] : « زاد في رواية : والمعروفَ » ، وقال الشارح بعد قوله : « حِسان الوجوه » : « الطَّلْقة المستبشرة وجوهُهم ؛ فإن الوجه الجميل مظِنّة الفعل الجميل ، وبين الخَلْق والخُلُق تناسب قريب » ، فهـٰذا ينافي قولَ ابن عائشة هنا ، فليراجع) ، وانظر « قضاء الحوائج » لابن أبي الدنيا (٥٦) .

ولا يناله زلَلٌ ؛ **فإنَّ يسيرَ المال مع حسن التقدير** ، وإصابة التدبير . . **أجدىٰ نفعاً** ، وأحسنُ موقعاً من كثيره مع سوء التدبير ، وفساد التقدير ؛ كالبذر في الأرض ؛ **إذا رُوعي يسيرُه** . . زكا ، **وإن أُهمل كثيرُه** . . اضمحلَّ .

وقد قال محمد بن علي عليه السلام : (**الكمالُ في ثلاثة : العفّةُ في الدِّين** ، والصبرُ على النوائب ، وحسنُ التقدير في المعيشة)[1] .

وقيل لبعض الحكماء : (فلان غنيٌّ ، فقال : **لا أعرفُ ذلك ما لم أعرفْ تدبيرَه في ماله**)[2] .

فإذا استكمل هٰذه الشروطَ فيما يستمدُّه من قدر كفايته . . **فقد أدّىٰ حقَّ المروءة في نفسه** .

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة ، فقال : (**العِفّة والحِرفة**)[3] .

وقال بعض الحكماء لابنه : (**يا بنيَّ ؛ لا تكنْ علىٰ أحدٍ كَلاًّ ؛ فإنَّك** تزدادُ بذلك ذُلاًّ ، واضرب في الأرض عَوْداً وبَدْءاً ، **ولا تأسفَنَّ لمالٍ كان فذهب** ، ولا تعجزَنَّ عن الطلَب لوَصَب ولا نَصَب) ، **فهٰذا حال اللازم** .

وقد كان ذوو الهِمَم العليّة ، والنفوسِ الأبيّة **يرَون ما وصل إلى الإنسان كسباً** أفضلَ ممّا وصل إليه إرثاً ؛ لأنَّه في الإرث في جَدوىٰ غيره ، وبالكسب مُجدٍ علىٰ غيره ، **وفرقُ ما بينهما في الفضل ظاهرٌ**[4] .

وقال كشاجم[5] : [من الكامل]

لا أستلِـذُّ العَيـشَ لـم أدأَبْ لَـهُ   طَلَباً وسَعياً في الهَواجرِ والغَلَسْ

---

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٩٧٠ ، ٢/٣٠٧٩) ، و« تاريخ دمشق » (٥٤/٣٣٧) ، ومحمد هو ابن الحنفيّة ، وفي هامش (أ) : (نسخة : الفقه في الدين) بدل (العفّة في الدين) .

(٢) أورده في « نثر الدرّ » (٧/٥٤) من قول ديوجانس .

(٣) رواه في « الطيوريّات » (٨٠٣) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (٨٢٤) .

(٤) لأن الظفر بعد الطلب أعز من المناساق بلا تعب .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص٢٢٧) ، ولم أدأب : لم أتعب ، **والهواجر** ـ جمع هاجرة ـ : وهو وقت نصف النهار ، **والغَلَس** : ظلمة آخر الليل ، وتخصيص هٰذين الوقتين بالذكر لشدة التعب فيهما ؛ لكونهما وقتي استراحة .

وأرىٰ حَراماً أنْ يُواتِيَني الغِنىٰ حتّىٰ يُحاوِلَ بالعَناءِ ويُلتَمَسْ
فاصرِفْ نَوالَكَ عن أخيكَ مُوفَّراً فاللَّيثُ ليس يُسيغُ إلاّ ما افترَسْ

وأمّا النَّدبُ : فهو ما فضل عن الكفاية ، وزاد علىٰ قدر الحاجة ؛ فإنَّ الأمر فيه معتبَرٌ بحال طالبه :

فإن كان ممَّن تقاعد عن منازل الرُّؤساء ، وتقاصر عن مُطاولَة النُّظراء ، وانقبض عن مُنافسة الأَكْفاء.. فحسبُه ما كفاه ، فليس في الزيادة إلاّ شَرَهٌ ، ولا في الفُضول إلاّ نَهَمٌ ، وكلاهما مذمومٌ ؛ ولذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الرِّزْقِ ما يكفي ، وخيرُ الذِّكْرِ الخَفيُّ »[1] .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (الدنيا كَلٌّ على العاقل) .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه : (المُستغني بالدنيا عن الدنيا كالمطفىء النارِ بالتِّبْن)[2] .

وقال بعض الحكماء : (استُرْ ماءَ وجهك بالقناعة ، وتسَلَّ عن الدنيا ؛ لتجافيها عن الكرام) .

وإن كان ممَّن قد مُني بعلوّ الهِمَم ، وتحرَّكت فيه أريَحيَّةُ الكَرَم[3] ، وآثر أن يكون مُرأَّساً ومقدَّماً ، وأن يُرىٰ في النفوس مُفخَّماً ومُعظَّماً.. فالكفايةُ لا تُقِلُّه حتىٰ يكونَ مالُه فاضلاً[4] ، ونائلُه فائضاً .

---

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٨٠٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥١٨) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٢/ ٣٣٠) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٥٤٨) من قول بكر بن عبد الله المُزَنيّ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أريحيَّة الكرم : عبارة عن خصلة السرور والنشاط عند العطية والإحسان .

(٤) لا تقلُّه : لا توصله إلىٰ مقاصده .

قيل لبعض العرب : (ما المروءةُ فيكم ؟ قال : طعامٌ مأكولٌ ، ونائلٌ مبذولٌ ، وبِشرٌ مقبولٌ)[١] .

قال الأحنف بن قيس[٢] : [من المتقارب]

فلو مُدَّ سَرْوِي بمالٍ كثيرٍ … لَجُدْتُ وكنْتُ له باذِلا
فإنَّ المروءةَ لا تُستطاعُ … إذا لم يكنْ مالُها فاضِلا

وقال أُحَيْحةُ بن الجُلاَح[٣] : [من البسيط]

رُزِقتُ لبّاً ولم أُرزَقْ مروءتَهُ … وما المروءةُ إلاّ كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مُساماةً تقاعدَ بي … عمّا يُنوِّهُ باسمي رِقّةُ الحالِ

وأمّا صيانتُها عن تحمُّل المِنَن ، والاسترسالِ في الاستعانة . . فلأنَّ المِنّةَ استرقاقُ الأحرار[٤] ، تُحدِث ذِلّةً في الممنون عليه ، وسَطوةً في المانِّ به ، والاسترسالُ في الاستعانة تثقيلٌ ، ومَن ثقّل على الناس . . هان ، ولا قدر عندهم لمُهان .

قال رجلٌ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : خدَمَك بَنُوك !! قال : (أغناني الله عنهم)[٥] .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه الحسن في وصيته له : (يا بنيَّ ؛ إنِ استطعتَ ألاّ يكونَ بينك وبين الله تعالىٰ ذو نعمة . . فافعلْ ، ولا تكنْ عبدَ غيرِك

---

(١) أورده في « الموشّىٰ » (ص١٩٦) ، و« بهجة المجالس » (١/٦٤٨) من قول جعفر بن محمد رحمهما الله تعالىٰ .
(٢) أورد البيتين في « البيان والتبيين » (٢/٢٩٢) ، و« بهجة المجالس » (١/٦٤٧) .
(٣) البيتان ليسا في « ديوانه » المطبوع ، وهما منسوبان للخليل في « ديوانه » (ص١٨) .
(٤) وأما صيانتها ؛ أي : النفس عن تحمل المنن والاسترسال في الاستعانة من الناس ، وهـٰذا هو النوع الثاني من الصيانة .
(٥) أورده في « عيون الأخبار » (٣/٩٣) ، و« محاضرات الأدباء » (١/٦٦٩) .

وقد جعلك اللهُ حُرّاً ؛ فإنَّ اليسيرَ من الله تعالىٰ أكرمُ وأعظمُ من الكثير من غيره وإنْ كان كلٌّ منه)[1] .

وقال زياد لبعض الدَّهاقين : (ما المروءةُ فيكم ؟ فقال : اجتنابُ الرِّيَب ؛ فإنَّه لا ينبُلُ مُريبٌ ، وإصلاحُ الرجل مالَه ؛ فإنَّه من مروءته ، وقيامُه بحوائجه وحوائج أهله ؛ فإنَّه لا ينبُلُ مَنِ احتاج إلىٰ أهله ، ولا مَنِ احتاج أهلُه إلىٰ غيره)[2] .

وأنشد ثعلب[3] : [من الكامل]

مَن عَفَّ خَفَّ على الصَّديق لقاؤه وأخُو الحَوائجِ وَجهُهُ مَملُولُ
وأخُوكَ مَن وفَّرتَ ما في كيسِهِ فإذا عَبِثْتَ بِهِ فأنتَ ثَقيلُ

ولَئن كان الناس لُحمةً لا يستغنون عن التعاون ، ولا يستقلُّون عن المساعدة والتظافرِ . . فإنَّما ذلك تعاونُ ائتلافٍ ، يتكافؤون فيه ولا يتفاضلون ، وربَّما كان المستعينُ فيه مفضلاً[4] ، والمعينُ مستفضَلاً ؛ كاستعانة السلطان بجنده ، والمُزَارِع بأَكَرته[5] ، فليس من هٰذا بدٌّ ، ولا بأحدٍ عنه غَناءٌ ، وإنَّما الذي يتصوَّن عنه الكرامُ تعاونُ التفضُّل ، فينقبضون عن أن يستعينوا ؛ لئلاّ يكون عليهم يدٌ ، ويسارعون إلىٰ أن يُعينوا ؛ لأنْ يكون لهم يدٌ .

ومن أقدمَ من غير اضطرار على الاستعانة بجاهٍ أو بمالٍ . . فقد أوهىٰ مروءتَه ، واستبذل صيانتَه .

ومَن دعاه الاضطرارُ ؛ لنائبٍ ألمَّ ، أو حادثٍ هجم إلى الاستعانة بمَن يتنفَّس به من خِناق كَرْبه ، ويتخلَّص به من وَثاق نوائبه . . فلا لومَ علىٰ مضطَرٍّ .

فإن أغناه الاستعانةُ بالجاه عن الاستعانة بالمال . . فلا عذرَ له في التعرُّض

---

(١) أورده في « شرح نهج البلاغة » (١٦/ ٩٣) .
(٢) أورده المبرّد في « الكامل » (١/ ١٠٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/ ٢٣) ، وفيه : (عمرو بن العاصي) بدل (زياد) ، والدِّهْقان : زعيم فلاحي العجم .
(٣) أورد البيتين في « الصداقة والصديق » (ص١٧٣) ، و« المستطرف » (٢/ ٣٠٣) ، والعفاف : الكف والتحرز عما لا يحل ولا يجمل ، والملال : السآمة .
(٤) وربما كان المستعين فيه ؛ أي : في تعاون الائتلاف ، مفضلاً : اسم فاعل من الإفضال .
(٥) والمزارع : صاحب المزرعة والأرض ، وبأكرته ـ جمع أكار ـ : وهم حراث الأرض .

للمال ، ويعدل إلىٰ وُلاة الأمور ؛ **فإنَّ الحوائجَ عندهم أنجحُ** ، وهي عليهم أسهلُ ، وهم لذلك مندوبون ، فهم لا يجدون لها مَسّاً ، وليصبِرْعلىٰ إبطائهم ؛ فإنَّ تراكُمَ الأمور عليهم يشغلُهم إلا عن المُلحِّ الصَّبور ؛ ولذلك قيل : (**قدِّم لِحاجتِك بعضَ لَجاجتِك**) .

وقد تقدَّم من قول الحكماء : (**ريحُ السُّلطان علىٰ قوم نسيمٌ** ، وعلىٰ قوم سَمُومٌ)[1] .

وقال عبد الله بن المعتزّ : (**مَن صحِبَ السُّلطانَ . . فليصبِرْ علىٰ قسوته** ؛ كصبر الغوّاص علىٰ مُلوحة بحره)[2] .

وقال أبو سدرة سُحَيم بن الأعرف[3] : [من الوافر]

نعُـدُّ قَـرابـةً ونعُـدُّ صِهْـراً ... ويسعَـدُ بـالقَـرابـةِ مَـن رَعـاهـا
ومـا زُرْنـاكَ مـن عَـدَمٍ ولٰكِـنْ ... يَهَـشُّ إلـى الإمـارةِ مَـن رَجـاهـا
وأيّـاً مـا فعَلْـتَ فـإنَّ نفسـي ... تعُـدُّ صـلاحَ نفسِـكَ مـن غِنـاهـا

فإن تعذَّر عليه صلاحُ حاله إلا بمالٍ يستعين به علىٰ نوائبه . . كان له مع الضرورة فُسحةٌ فيه ، لٰكن إن وجدَه قَرضاً مردوداً . . لم يأخذه صِلةً وَجُوداً ؛ **فإنَّ القَرضَ مستسمَحٌ به في المروءات** .

هٰذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع ما أعلى الله تعالىٰ من قدره ، وفضَّله علىٰ خلقه . . **قد اقترض** ، ثم قضىٰ فأحسن .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **مَن أعياهُ رِزقُ اللهِ تعالىٰ حَلالاً . . فلْيستَدِنْ** على الله وعلىٰ رسوله »[4] .

---

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص١٣٣) ، و« بهجة المجالس » (١/ ٣٥١) من قول ابن المعتزّ .
(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص١٣٢) ، و« زهر الآداب » (٢/ ٦٧٤) .
(٣) أورد الأبيات في « الشعر والشعراء » (٢/ ٦٤٢) ، و« خزانة الأدب » (٢/ ١١٩) ، وفي النسخ : (أبو سيارة) ، ويهش : يرتاح ويُسَرُّ .
(٤) أورده الديلمي في « الفردوس » (٤٢٥٤) عن عبد الله المزنيّ رحمه الله تعالىٰ ، وأعياه : أعجزه ولم يهتدِ لوجهه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « المُستدِينُ تاجرُ الله في أرضِهِ »[1] .

وقال البحتريّ[2] : [من الكامل]

إلاّ يكُـنْ كُثْـرٌ فقُـلُّ عَطيّـةٍ   يبلُغْ بها باغي الرِّضا بعضَ الرِّضا
أو لا تكُنْ هِبَةٌ فقَرْضٌ يُسِّرَتْ   أسبابُهُ وكواهبٍ مَن أقرَضا

ولئن كان الدَّين رِقّاً . . فهو أسهلُ من رِقّ الإفضال .

وقد رُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : (مَن أراد البقاءَ ولا بقاءَ . . فليباكِرِ الغَداءَ ، وليُخفِّفِ الرِّداءَ ، قيل : وما خفّةُ الرِّداء من البقاء ؟ قال : قِلّةُ الدَّين)[3] .

فإن أعوزه ذلك إلا استسماحاً . . فهو الرِّقُّ المُذِلُّ ؛ ولذلك قيل : (لا مروءةَ لمُقِلٍّ) .

وقال بعض الحكماء : (مَن قبِلَ صِلتَك . . فقد باعكَ مروءتَه ، وأذلَّ لقدرِك عزَّه وجلالتَه)[4] .

والذي يتماسك به الباقي من مروءة الراغبين ، واليسيرُ التافه من صيانة السائلين ـ وإن لم يبقَ لذي رغبة مروءةٌ ، ولا لسائل تصوُّنٌ ـ . . أربعةُ أمور ، هي جهد المضطرّ :

أحدها : أن يتجافىٰ ضرَعَ السائلين ، وأُبَّهةَ المستقلِّين ، فيذلَّ بالضَّرَع ، ويُحرَمَ بالأُبَّهة ، وليكن من التجمُّل علىٰ ما يقتضيه حالُ مثله من ذوي الحاجات .

(١) أورده في « البصائر والذخائر » (٧/ ١٣٢) ، و« بهجة المجالس » (١/ ٢١٥) من قول جعفر بن محمد رحمهما الله تعالىٰ .
(٢) البيتان في « ديوانه » (٢/ ١٢٠٢) .
(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٣/ ٢٧١) ، و« شرح نهج البلاغة » (١٩/ ١٢٤) .
(٤) أورده في « المحاسن والأضداد » (ص٤٣) ، و« المحاسن والمساوىء » (ص١٨٣) .

وقد قيل لبعض الحكماء : (متىٰ يفحشُ زوالُ النِّعَم ؟ قال : إذا زال معها التجمُّلُ)[1] .

وأنشد بعض أهل الأدب لعلي بن الجَهْم[2] : [من الطويل]

هـي النَّفسُ مـا حمَّلْتَهـا تتحمَّـلُ ... ولـلـدَّهـر أيّـامٌ تجُـورُ وتَعـدِلُ
وعـاقبـةُ الصَّبـرِ الجميـلِ جميلـةٌ ... وأحسنُ أخلاقِ الرِّجالِ التَّفضُّلُ
ولا عارَ إنْ زالَتْ عنِ الحُرِّ نِعمةٌ ... ولٰكـنَّ عـاراً أنْ يـزُولَ التَّجمُّـلُ

والثاني : أن يقتصر بالسؤال علىٰ ما دعته إليه الضرورة ، وقادته إليه الحاجة ، ولا يجعل ذلك ذريعةً إلى الاغتنام ، فيُحرَمَ باغتنامه ، ولا يُعذَرَ في ضرورته ، وقد قال بعض الحكماء : (مَن ألِفَ المسألةَ . . ألِفَه المنعُ)[3] .

والثالث : أن يعذِرَ في المنع ، ويشكُرَ على الإجابة ؛ فإنَّه إن مُنِع . . فعمّا لا يملك ، وإن أُجِيبَ . . فإلىٰ ما لا يستحِقُّ .

وقد قال النَّمْر بن تَوْلَبٍ[4] : [من الكامل]

لا تغضَبَنَّ على امرِئٍ في مالِهِ ... وعلىٰ كَرائمِ صُلْبِ مَالِكَ فاغضَبِ

والرابع : أن يعتمدَ علىٰ سؤال مَن كان للمسألة أهلاً ، وكان النُّجْحُ عنده مأمولاً ؛ فإنَّ ذوي المَكِنةِ كثيرٌ ، والمُعينَ منهم قليلٌ[5] ؛ ولذلك قال النبيُّ

---

(١) أورده في « سراج الملوك » (٢/ ٧٦٦) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص١٧٢) ، وفي غير (أ) : (وأحسن حالات الرجال التفضل) .
(٣) أورده في « نثر الدرّ » (٤/ ٢١٤) .
(٤) البيت في « ديوانه » (ص٤٨) .
(٥) ذوي المكنة : أرباب الغنىٰ واليسار .

صلى الله عليه وسلم : « **الخيرُ كثيرٌ ، وقليلٌ فاعلُهُ** »[1] .

والمرجوُّ للإجابة مَن تكاملت فيه خصالُها ؛ وهي ثلاثٌ :

إحداهن : كرَمُ الطبع ؛ فإنَّ الكريم مساعد ، واللئيم معاند ، وقد قيل : (**المخذولُ** : مَن كانت له إلى اللئامِ حاجةٌ)[2] .

والثانية : سلامةُ الصدر ؛ فإنَّ العدوَّ ألْبٌ علىٰ نكبتك[3] ، وحربٌ في نائبتك ، وقد قيل : (**مَن أوغرْتَ صدرَه . . استدعيتَ شرَّه**) .

فإن رقَّ لك بكرم طبعه ، ورحمك بحسن ظفره . . **فأعظِمْ بها محنةً أن يصير عدوُّك لك راحماً !!**

وقد قال الشاعر[4] : [من المتقارب]

وحَسْبُكَ مِن حادثٍ بامرِئٍ ... ترىٰ حاسِدِيهِ لهُ راحِمِينا

والثالثة : ظهورُ المَكِنة ؛ فإنَّ مَن سأل ما لا يمكن . . فقد أحالَ[5] ، وكان كمستنهِض المسجون ، ومستسعِف المديون ، وكان بالرَّدِّ خَليقاً ، وبالحرمان حَقيقاً .

وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (**مَن لا يعرفْ « لا » حتّىٰ يُقالَ له : « لا » . . فهو أحمقُ**) .

ووصّىٰ عبد الله بن الأهتم ابنَه فقال : (**يا بنيَّ ؛ لا تطلبِ الحوائجَ إلىٰ غير**

---

(١) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ٢٤٥) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ١٧٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) أورده في « لباب الآداب » (ص٤٢٩) .

(٣) ألب علىٰ نكبتك : يُسِرُّ لها ويتهالك علىٰ إيقاعها .

(٤) أورد البيت في « عيون الأخبار » (٢/ ٩) للعتبيّ .

(٥) فقد أحال : أتىٰ بالمحال .

أهلِها ، ولا تطلبْها في غير حينِها ، ولا تطلبْ ما لستَ له مستحِقّاً ؛ **فإنّك إن فعلتَ ذلك . . كنتَ حَقيقاً بالحِرمان**)[1] .

وقال الشاعر[2] : [من المتقارب]

ولا تسألَنَّ امرأً حاجةً   يُحاوِلُ مِن ربِّها مِثْلَها
فيتركُ ما كنتَ حمَّلتَهُ   ويَبدا بحاجتِهِ قبلَها

وهٰذا ما يختص بشروط المروءة في نفسه .

***

فأمّا شروطُ المروءة في غيره . . فثلاثة : المؤازرة ، والمياسرة ، والإفضال .

***

فأمّا المؤازرة . . فنوعان : **أحدهما** : الإسعاد بالجاه ، **والثاني** : الإسعاف في النوائب .

***

فأمّا الإسعاد بالجاه : فقد يكون من الأعلىٰ قدراً ، والأنفذ أمراً ، **وهو أرخصُ المكارم ثمناً** ، وألطفُ الصنائع مَوقعاً ، وربَّما كان أعظمَ من المال نفعاً ، **وهو الظلُّ الذي يلجأ إليه المضطرُّون** ، والحِمى الذي يأوي إليه الخائفون ؛ **فإن وطَّأَه . .** اتَّسعَ بكثرة الأنصار والشِّيَع ، **وإن قبضَه . .** انقطعَ بنفور الغاشية والتَّبَع ؛ **فهو بالبذل ينمي ويزيد** ، وبالكفِّ ينقص ويبيد .

فلا عذرَ لمَن مُنح جاهاً أن يبخلَ به ، فيكونَ أسوأَ حالاً من البخيل بماله الذي قد يُعِدُّه لنوائبه ، ويستبقيه للَذّته ، ويستكثرُه لذُرّيّته ، **وبضدِّ ذلك مَن بخل**

---

(1) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٠٦١) ، و« تاريخ دمشق » (١٦/ ١١٥) من قول خالد بن صفوان رحمه الله تعالىٰ .

(2) أورد البيتين في « بهجة المجالس » (١/ ٣٢٣) ، وقال خالد بن صفوان رحمه الله تعالىٰ : (**لا تسأل الحوائج ثلاثة** : لا تسأل كذوباً ؛ فيقرب بعيداً ويبعد قريباً ، ولا أحمق ؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا رجلاً له إلىٰ صاحبك حاجة ؛ فإنه يصير حاجتك بطانةً لحاجته) .

بجاهه ؛ لأنَّه قد أضاعه بالشحِّ ، وبذَّره بالبخل ، وحزم نفسَه غنيمةَ مَكِنته[1] ، وفرصةَ قدرته ، فلم يُعقِبه إلاّ ندماً علىٰ فائت ، وأسفاً علىٰ ضائع ، ومقتاً يستحكم في النفوس ، وذمّاً قد ينتشر في الناس .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **الخَلْقُ كلُّهم عِيالُ الله تعالىٰ ، وأحبُّ خَلْقِ الله تعالىٰ إليه أحسَنُهُم صَنيعاً إلىٰ عيالِهِ** »[2] .

وقال بعض الحكماء : (**اصنعِ الخيرَ عند إمكانه . . يبقَ لك حمدُه عند زوال أيّامه ، وأحسِنْ والدَّولةُ لك . . يُحسَنْ إليك والدَّولةُ عليك ، واجعلْ زمانَ رخائك عُدّةً لزمان بلائك**)[3] .

وقال بعض البلغاء : (**مِن علامة الإقبال اصطناعُ الرِّجال**)[4] .

وقال بعض الأدباء : (**بَذْلُ الجاهِ أحدُ الحِباءَين**)[5] .

وقال ابن الأعرابيّ : (العرب تقول : **مَن أمَّل شيئاً** . . هابه ، **ومَن جهل شيئاً** . . عابه)[6] .

وبذلُ الجاه قد يكون من كرَم النفس ، وشكرِ النِّعمة ، وضدُّه من ضدِّه ، وليس بذلُ الجاه التماسَ الجزاء بذلاً مشكوراً ، **وإنَّما هو بائعُ جاهِه** ، ومعاوِضٌ علىٰ نِعَم الله تعالىٰ وآلائه ، فكان بالذمِّ أحقَّ .

وأنشد بعض الأدباء لعليِّ بن عباس الروميّ[7] : [من المنسرح]

لا يبــذُلُ العُـرْفَ حيـنَ يبـذلُـهُ   كمشتـري الحَمْـدِ أو كمُعتـاضِـهْ

---

(١) وهي استرقاق الأحرار .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٤٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/ ٢٧٧) .

(٣) أورد بعضه في « محاضرات الأدباء » (١/ ٣٦٣) .

(٤) أورده في « لباب الآداب » (ص٦٨) ، و« نهاية الأرب » (٦/ ١٠٣) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٤٢٤) ، و« زهر الآداب » (٢/ ٩٨٤) من قول أبي بكر الخوارزمي ، والحباءان : مثنى العطية التي لا عوض لها ، ولا امتنان فيها .

(٦) أورده في « البيان والتبيين » (٣/ ٢٥٦) ، ورواه القاليّ في « الأمالي » (٢/ ٩٦) عن الأصمعيّ رحمه الله تعالىٰ ؛ وفيه : (ومَن قصَّر عن شيء . . عابه) .

(٧) البيتان في « ديوانه » (٤/ ١٣٧٤) .

بـل يفعَـلُ العُـرْفَ حيـنَ يفعَلُـهُ لجَـوهـرِ العُـرْفِ لا لأعـراضِـهْ

وعلىٰ مَن أُسعِد بجاهه ثلاثةُ حقوق ، يستكثر بها الشكرَ ، ويستمدُّ بها المزيدَ :

أحدها : أن يستسهلَ المعونةَ مسروراً بها ، ولا يستثقلَها كارهاً لها ، فيكونَ بنِعَم الله تعالىٰ متبرِّماً ، ولإحسانه متسخِّطاً .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **مَن عظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ تعالىٰ عليهِ . . عظُمَتْ مَؤونةُ الناسِ عليهِ ، فمَن لم يحتمِلْ تلك المَؤونةَ . . عرَّض تلك النِّعمةَ للزَّوالِ** »[1] .

والثاني : مجانبةُ الاستطالة ، وتركُ الامتنان ؛ فإنَّهما من لؤم الطبع ، وضيق الصدر ، وفيهما هدمُ الصَّنيع ، وإحباطُ الشكر .

وقد قيل للحكيم اليونانيِّ : (مَن أضيقُ الناس طريقاً ، وأقلُّهم صديقاً ؟ قال : مَن عاشر الناسَ بعُبوس وجهه ، واستطال عليهم بنفسه)[2] .

والثالث : ألاَّ يقرِنَ بمشكور سعيه تقريعاً بذنب ، ولا توبيخاً علىٰ هَفْوة ، فلا يفي مَضَضُ التوبيخ بإدراك النُّجح ، ويصيرُ الشُّكرُ وَجْداً ، والحمدُ عَيباً ؛ ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « **أَقِيلُوا ذَوِي الهَيْئاتِ عَثَراتِهِمْ** »[3] .

وقال النابغة الجَعْديُّ[4] : [من الطويل]

أَلَـمْ تعلَمـا أنَّ المَـلامـةَ نَفْعُهـا قليـلٌ إذا مـا الشَّـيءُ ولّـىٰ فـأدبَـرا

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٢٥٨) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ٣٨٩) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) أورده في « نهاية الأرب » (٦/ ١٣٥) .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٩٤) ، وأبو داوود (٤٣٧٥) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٤) البيت في « ديوانه » (ص٥٥) .

وأمّا الإسعاف في النوائب : فإنَّ الأيامَ غادرةٌ ، والنوازلَ غائرةٌ ، والحوادثَ عارضةٌ، والنوائبَ راكضةٌ ، فلا يعذره فيها إلاّ عليم ، ولا يستنقذه منها إلا سليم .

وقال عدي بن زيد[1] : [من الطويل]

كفىٰ زاجراً للمرءِ أيّامُ دَهْرِهِ   تروحُ لهُ بالواعظاتِ وتَغتدِي

فإذا وجد الكريمُ مصاباً بحوادث دهره.. حثَّه الكرمُ وشكرُ النِّعَم على الإسعاف فيها بما استطاع سبيلاً إليه ، ووجد قدرةً عليه .

رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيرٌ مِنَ الخيرِ مُعطِيهِ ، وشرٌّ مِنَ الشَّرِّ فاعِلُهُ »[2] .

وقيل لبعض الحكماء : (هل شيءٌ خيرٌ من الذهب والفضة ؟ قال : مُعطِيهما)[3] .

والإسعاف في النوائب نوعان : واجب ، وتبرُّع .

فأمّا الواجب : فما اختصَّ بثلاثة أصناف ؛ وهم : الأهل ، والإخوان ، والجيران .

ـ أمّا الأهل : فلمُماسّة الرَّحِم ، وتعاطف النسب .

وقد قيل : (لم يسُدْ مَنِ احتاج أهلُه إلىٰ غيره)[4] .

وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالىٰ عنه[5] : [من الطويل]

وإنَّ امرأً نالَ الغِنىٰ ثمَّ لم يُنِلْ   قريباً ولا ذا حاجةٍ لَزَهيدُ

---

(١) البيت في « ديوانه » (ص١٠٤) .

(٢) أورده في « العقد الفريد » (٣/ ٣٠٨) ، و« نهاية الأرب » (٥/ ١٦٥) من قول أكثم بن صيفيّ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٥٧٩) .

(٤) أورده المبرّد في « الكامل » (١/ ١٠٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/ ٢٣) .

(٥) البيتان في « ديوانه » (١/ ٤١٤) ، وروى البيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٢٧) البيتين ضمن قصة جاعلاً الأولَ لعبد الرحمٰن بن حسان ، والثانيَ لسعيد بن عبد الرحمٰن رحمهما الله تعالىٰ .

وإنَّ امرأً عادى الرِّجالَ على الغِنىٰ   ولـم يسـأَلِ اللهَ الغِنـىٰ لَحَسُـودُ

* * *

ـ **وأمّا الإخوان** : فلمُستحكِم الوُدّ ، ومتأكِّد العهد .

سُئل الأحنف بن قيس عن المروءة ، فقال : (**صدقُ اللسان ، ومواساةُ الإخوان ، وذكرُ الله تعالىٰ في كلِّ مكان**) .

وقال بعض حكماء الفرس : (**صفةُ الصَّديق** : أن يبذلَ لك مالَه عند الحاجة ، ونفسَه عند النكبة ، ويحفظك عند الغَيبة) .

ورأىٰ بعض الحكماء رجلين يصطحبان ولا يفترقان ، فسأل عنهما ، فقيل : (هما صديقان ، قال : **فما بالُ أحدهما فقيرٌ ، والآخر غنيٌّ ؟!**)(١) .

* * *

وأمّا الجار : فلدنوِّ داره ، واتصال مَزاره .

وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (**ليس حسنُ الجوار كفَّ الأذىٰ** ؛ ولـٰكنَّه الصبرُ على الأذىٰ)(٢) .

وقال بعض الحكماء : (**مَن أجار جارَه . . أعانه اللهُ وأجارَه**) .

وقال بعض البلغاء : (**مَن أحسنَ إلىٰ جاره . .** فقد دلَّ علىٰ حسن نِجاره)(٣) .

وقال بعض الشعراء :   [من الطويل]

وللجارِ حَقٌّ فاحترِس مِنْ أذائِهِ   ومـا خيـرُ جـارٍ لا يـزالُ مـؤاذِيـا

فيجب في حقوق المروءة وشروط الكرم في هـٰؤلاء الثلاثة تحمُّلُ أثقالهم ،

---

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (٣/ ٢٣) ، و« نثر الدرّ » (٧/ ٥٨) من قول ديوجانس .

(٢) أورده في « شرح نهج البلاغة » (٢٠/ ٢٩٥) ، وفي « التذكرة الحمدونية » (٢/ ١٥٧) ، و« لباب الآداب » (ص٢٦٢) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورد نحوه في « نهاية الأرب » (٣/ ٣٦٤) ؛ وفيه : (من تعدّىٰ علىٰ جاره . . دلَّ علىٰ لؤم نجاره) ، **والنِّجار** : الأصل والحسب .

وإسعافُهم في نوائبهم ، ولا فُسحةَ لذي مروءةٍ مع ظهور المَكِنة أن يكِلَهم إلىٰ غيره ، ويُلجئَهم إلىٰ سواه ، وليكنْ سائلَ كرم نفسه عنهم ؛ فإنَّهم عِيالُ كرمه ، وأَضيافُ مروءته ، فكما أنه لا يحسُنُ أن يُلجِئَ عيالَه وأضيافَه إلى الطلب والرَّغبة . . فهكذا مَن عاله كرمُه ، وأضافته مروءتُه .

وقد قال بعض الشعراء[1] : [من البسيط]

حقٌّ على السيِّدِ المَرجُوِّ نائلُهُ والمُستجارِ بهِ في العُرْبِ والعَجَمِ
ألاّ يُنيلَ الأقاصي صَوْبَ راحتِهِ حتّىٰ يخصَّ بهِ الأدنىٰ مِنَ الخَدَمِ
إنَّ الفُراتَ إذا جاشَتْ غَواربُهُ رَوَّى السَّواحلَ ثمَّ امتدَّ في الأمَمِ

وأمّا التبرُّع : فمَن عدا هؤلاءِ الثلاثةَ من البُعَداء الذين لا يُدلون بنسب ، ولا يتعلَّقون بسبب .

فإن تبرَّع بفضل الكرم ، وفائض المروءة ، فنهض في حوادثهم ، وتكفَّل بنوائبهم . . فقد زاد علىٰ شروط المروءة ، وتجاوزها إلىٰ شروط الرِّياسة .

قيل لبعض الحكماء : (أيُّ شيءٍ من أفعال الناس يشبه أفعالَ الإلـٰه ؟ قال : الإحسانُ إلى الناس)[2] .

وإن كفَّ تشاغُلاً بمَن لزم . . فلا لومَ ، ما لم يُلجأْ إليه مضطرٌّ ؛ لأن القيام بالكلِّ مُعوِزٌ ، والتكفُّلَ بالجميع متعذِّرٌ ، فهـٰذا حكم المؤازرة .

وأمّا المياسرة . . فنوعان : أحدهما : العفو عن الهفوات ، والثاني : المسامحة في الحقوق .

---

(١) حقٌّ : خبر مقدم ، وألا ينيل : مبتدأ ، والاستجارة : طلب الأمان والحفظ والحماية ، وصوب راحته : كناية عن الجود والعطية .
(٢) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٥٧٨) ، و« نثر الدرّ » (٤/ ١٦٠) .

فأما العفو عن الهفوات : فلأنَّه لا مُبرّأَ من سهوٍ أو زَلَل ، ولا سليمَ من نقصٍ أو خَلَل ، ومَن رام سليماً من هَفْوة ، والتمس بريئاً من نَبْوةٍ . . فقد تعدَّىٰ على الدهر بشَطَطه ، وخادع نفسَه بغَلَطه ، وكان من وجود بُغيته بعيداً ، فصار باقتراحه فرداً وحيداً .

وقد قالت الحكماء : (**لا صديقَ لمَن أراد صديقاً لا عيبَ فيه**)(١) .

وقيل لأنوشروان : (**هل مِن أحدٍ لا عيبَ فيه ؟ قال : مَن لا موتَ له**)(٢) .

وإذا كان الدهرُ لا يُوجِدُه ما طلب ، ولا يُنيلُه ما أحبَّ ، وكان الوحيدُ في الناس مرفوضاً قصيّاً ، والمنقطعُ عنهم بهيماً وحشيّاً . . **لزمه مساعدةُ زمانه في القضاء** ، ومياسرةُ إخوانه في الصَّفح والإغضاء .

رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **إنَّ اللهَ تعالىٰ أَمَرَني بمُداراةِ الناسِ** ؛ كما أمَرَني بإقامةِ الفرائضِ »(٣) .

وقال بعض الأدباء : (**ثلاثُ خصالٍ لا تجتمع إلا في كريم** : حسنُ المَحضَر ، واحتمالُ الزَّلّة ، وقلّةُ المَلال)(٤) .

وقال ابن الروميّ(٥) : [من الطويل]

فعُذرُكَ مبسوطٌ لذَنْبٍ مُقدَّمٍ ... ووُدُّكَ مقبولٌ بأهلٍ ومَرحَبِ
ولو بَلَّغَتْني عنكَ أُذْني أقَمْتُها ... لديَّ مُقامَ الكاشحِ المُتكذِّبِ
فلستُ بتقليبِ اللِّسانِ مُصارِماً ... خليلاً إذا ما القلبُ لم يتقلَّبِ

---

(١) رواه في « تاريخ دمشق » (١٨/ ١٠٥) من قول رجاء بن حيوة رحمه الله تعالىٰ ، وأورده في « التذكرة الحمدونية » (٤/ ٣٦٣) من قول جعفر بن محمد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده في « البصائر والذخائر » (٤/ ١٧٠) لبزرجمهر ، و« التذكرة الحمدونية » (٢/ ٢٤٤) لسقراط .

(٣) أورده الديلمي في « الفردوس » (٦٥٩) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وابن عساكر في « معجم الشيوخ » (١/ ١٦٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) رواه في « روضة العقلاء » (٥٦٢) من قول سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وأورده في « سراج الملوك » (٢/ ٧٦٤) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢١٢) ، فعذرك مبسوط : مقبول ، من (بسط العذر) إذا قبله ، والكاشح : الذي يضمر العداوة ويكذب ويفتري ؛ والمعنىٰ : أتهم أذني بالصمم ولا أتهمك بالشتم ، وهـٰذا أبلغ ما قيل في الصفح والإغضاء .

وإذا كان **الإغضاءُ حتماً** ، والصَّفحُ لازماً . . **ترتَّبَ بحسَب الهفوة** ، وتنزَّلَ بقدر الذنب .

والهفوات نوعان : صغائر ، وكبائر .

فالصغائر مغفورة ، والنفوس بها معذورة ؛ **لأنَّ الناس مع أطوارهم المختلفة** ، وأخلاقهم المتفاضلة . . **لا يَسلَمون منها** ، فكان الوَجْدُ فيها **مُطَّرَحاً** ، والعتبُ فيها مستقبَحاً .

وقد قال بعض العلماء : (**مَن هجر أخاه من غير ذنب . . كان كمَن زرع زرعاً** ، ثمَّ حصده قبلَ أوانه) .

وقال أبو العتاهية[1] : [من المتقارب]

وشرُّ الأخِلاَّءِ مَن لم يَزَلْ　　　يُعاتِبُ طَوْراً وطَوْراً يَذُمّْ
يُريكَ النَّصيحةَ عندَ اللِّقاءْ　　　ويَبريكَ في السِّرِّ بَرْيَ القَلَمْ

وأمّا الكبائر . . فنوعان :

أحدهما : أن يهفوَ بها خاطئاً ، ويزِلَّ بها ساهياً ، **فالحَرَجُ فيها مرفوع** ، والعَتبُ عنها موضوع ؛ **لأنَّ هفوةَ الخاطىء هَدَرٌ** ، ولومَه هَذَرٌ .

وقال بعض الحكماء : (**لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه**)[2] .

وقال الأحنف بن قيس : (**حقُّ الصديق أن تحتمل له ثلاثاً** : ظلمَ الغضَب ، وظلمَ الدالّة ، وظلمَ الهَفوة)[3] .

---

(١) البيتان في « ديوانه » (ص٢٣٧ـ دار صادر) .

(٢) أورده في « الصداقة والصديق » (ص١٨٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (٤/ ٣٦٤) .

(٣) أورده في « الصداقة والصديق » (ص٥٤) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (٢٤/ ٣٤٢) ، وانظر « التذكرة الحمدونية » (٤/ ٣٥٤) ، وظلم الدالة : ظلم الغنج والدلال .